



الازمة في جمهورية افريقية الوسطى :الاسباب والنتائج

أ.م.د هيفاء احمد محمد

قسم دراسة الأزمات

تقع جمهورية افريقيا الوسطى في وسط افريقيا يحدها من الشمال تشاد ومن الشرق السودان ومن الجنوب الكونغو كينشاسا والكونغو برازافيل ومن الغرب الكاميرون وهي دولة قليلة السكان اذ يبلغ تعدادهم حوالي اربعة ملايين ونصف نسمة قياسا بمساحتها الكبيرة. نالت البلاد استقلالها عن الاستعمار الفرنسي في اب ١٩٦٠ وتعرضت خلال سنوات ما بعد الاستقلال لازمات سياسية ونزاعات داخلية وحكمت جمهورية أفريقيا الوسطى لأكثر من ثلاثة عقود بعد الاستقلال من قادة تولوا السلطة بالقوة، اذ تم تداول السلطة عبر عدة انقلابات عسكرية خلال اربعة عقود.

كان اول رؤساء البلاد ديفيد داكو الذي تولى السلطة منذ عام ١٩٦٠ واعلن نظام الحزب الواحد عام ١٩٦٢ الى ان قام بوكاسا بالانقلاب عليه عام ١٩٦٦ وتولى السلطة حاكما عسكريا للبلاد اعتبارا من ذلك العام حتى كانون الاول ١٩٧٦ عندما اعلن نفسه امبراطورا حكمه حتى عام ١٩٧٩ وتمت الاطاحة به من قبل انصار ديفيد داكو وبدعم فرنسي الذي عاد لرئاسة البلاد الى ان اطيح به في ١٩٨١ واستولى العسكر على السلطة بزعامة اندريه كولنغبا الذي سمح بالعودة للتعددية الحزبية في مطلع الثمانينات، وتولى السلطة بعد فوزه بولاية لست سنوات ثم اثر تعرضه لضغوط للسماح بديمقراطية أكثر شفافية اجريت انتخابات ديمقراطية متعددة الأحزاب في عام ١٩٩٣، مع معونة ومراقبة دولية و فاز بالانتخابات أنجي فيليكس باتاسيه ، لكنه خسر الدعم الشعبي خلال فترة رئاسته و أطيح به في عام ٢٠٠٣ من قبل الجنرال فرانسوا بوزيزي، الذي استطاع الفوز في انتخابات في ايار ٢٠٠٥ الا ان الوضع لم يستتب لبوزيزيه بسبب استثناء الفساد والتحالف الذي قام بين السلطة واصحاب رؤوس الاموال، في ظل تزايد من اسموهم اغنياء الماس الذين اثروا منسيطرتهم على تجارة هذا الحجر الكريم، وتعد جمهورية أفريقيا الوسطى جمهورية التمرد، وذلك لتاريخها الحافل في هذا المجال حتى أصبح تقليدا من جانب القوات المسلحة تمثل في عدة حركات تمرد عسكرية



خلال العقدين الماضيين. وتم بعدها توصل أطراف النزاع إلى اتفاق في العاصمة الغابونية ليروفييل لإنهاء الأزمة إثر مفاوضات تمت برعاية المجموعة الاقتصادية لدول وسط أفريقيا . وطالب تحالف سيليكا الذي يضم فصائل متعددة لحمل السلاح للمطالبة باحترام اتفاقات السلام والتي تنص على نزع السلاح وإعادة إدماج الفصائل المسلحة في الجيش ، ومرت البلاد بحالة من عدم الاستقرار

مما أدى لاتفاق الرئيس مع معارضية على التهدئة مع وعده بعدم الترشح لانتخابات ٢٠١١ ، ولكن جرت انتخابات في يناير ٢٠١١ ، و فاز فيها بوزيزيه وحزبه ، كما شهدت هذه الانتخابات التزوير على نطاق واسع الأمر الذي أدى إلى تصاعد التمرد ضد حكومته. وقاد التمرد تحالف سيليكا ، وانتهى التمرد المسلح باسقاط الرئيس بوزيزيه ووصول ميشال دجوتوديا زعيم السيليكا الى راس السلطة، و يقدر تعداد مقاتلي هذه الميليشيا بنحو ٢٥ ألف مقاتل وفق بعض التقديرات، ووجهت اتهامات لهذه الميليشيا بارتكاب مذابح ضد المسيحيين من سكان البلاد ، رغم ان ميشال دجوتوديا وهو أول رئيس مسلم تولى الحكم بعد سيطرة قواته على العاصمة والقصر الرئاسي و فرار الرئيس المسيحي (فرانسوا بوزيزي)، في ٢٤ مارس ٢٠١٣ ، أكد ان نظام حكمه علماني، وان سكان البلاد من جميع الاديان يمتلكون حقوق المواطنة ، وردا على اعمال العنف قام الرئيس دجوتوديا رسميًا بحلّ قوات سيليكا، كما تم الإعلان عن دمج بعض مقاتليهم في الجيش.. لكن هذا الحل لم ينجح ولم يكن الدمج في الجيش فعالاً، فبقيت القوات محتفظة بقياداتها وبتماسكها.

ولم تستقر الاوضاع بعد تنصيب ميشال جوتوديا رئيسا انتقاليا للبلاد يوم ١٨ أغسطس/آب ٢٠١٣ وسيطرت تحالفه ، بل ظهرت مجموعات أخرى مكونة من مليشيات قروية للدفاع الذاتي، تضم مجموعة من المزارعين المسيحيين ملقبة باسم «أنتي بالاك» أو (مناهضو السواطير).ظهرت هذه المجموعات من أتباع الرئيس بوزيزي منذ سبتمبر أيلول ٢٠١٣ في شمال غرب أفريقيا الوسطى للرد على سيطرة السيليكا على السلطة . وقاموا بجرائم تضمنت إعدامات عشوائية، وعمليات بتر أعضاء وتدمير مراكز دينية كالمساجد، وتهجير عدد كبير من السكان، و يحمل أعضاء هذه الحركة المناجل والأقواس والسهام والرماح، وارتكبت الفظائع ليس فقط ضد السيليكا ولكن ضد المجتمع الإسلامي الأوسع كذلك.وبينما تقوم الجماعات المسلحة باجتياح المنطقة وارتكاب جرائم النهب والقتل وتجريف المحاصيل وتدمير المنازل، أصبحت القرى التي تقع على امتداد طريق يبلغ طوله 100 كيلومتر بين بوسانغوا والعاصمة بانغي فارغة. ويعتبر هذا الصراع بين الأديان ظاهرة جديدة في جمهورية أفريقيا الوسطى

وبالإضافة إلى الإرهاب، يعاني الناس من الأمراض أثناء اختبائهم في حقولهم بدون مأوى أو دواء أو غذاء.وقالت الطبيبة فلورين أوديناردن من منظمة أطباء بلا حدود (نحن قلقون للغاية من وجود العديد من



الحالات التي لا نستطيع الوصول إليها؛ ليس فقط من ضحايا العنف، ولكن أيضاً المصابين بالمalaria، وازدادت أنه باستثناء أعمال العنف، تعتبر malaria هي القاتل الأشد فتكاً، وخاصة بين الأطفال).

وقد أدى هذا الصراع إلى نشأة نوع من الانقسام القومي والديني بين المسيحيين الذين يشكلون نصف السكان (أي ٥٠٪)، وبين المسلمين الذين يشكلون ٢٠٪. أما بقية السكان فإنهم يدينون بديانات محلية. ومما ساهم في ضعف نظام الرئيس جوتوديا هو مرور تحالفه بحالة من التصدع أصابت مختلف مكوناته، فبرزت شكوى بعض الفصائل من تهيمشه لها بعدما تمكن من السيطرة على الأمور في العاصمة بانغي. كما أن هناك عاملاً آخر هو عجز الحكومة الجديدة عن بسط سيطرتها التامة على البلاد بسبب وجود نشاط لمجموعات مسلحة في مختلف أنحاء البلاد، مما خلق حالة من الفوضى وعدم الاستقرار. ولا تزال حالة العنف والعنف المضاد بين الطرفين إلا أن المسلمين يتعرضون لنوع من التطهير العرقي، كما أن تماهل القوات الفرنسية في إيقاف هذه الأعمال، فاتهمت بتحيزها للمسيحيين في هذه الدولة، وكانت القوات الفرنسية قد اقدمت بالتعاون مع القوات الإفريقية الموجودة في البلاد على نزع أسلحة أكثر من سبعة آلاف من مقاتلي سيليكا، ووضعهم في ثكنات مختلفة بالعاصمة. وهو إجراء أغضب المسلمين، باعتبار أن هذه القوات كانت تمثل لهم شيئاً من الحماية في مواجهة الميليشيات المسيحية. ولذلك نظم المسلمون احتجاجات في بعض شوارع العاصمة، منددين بالانحياز الفرنسي لصالح المسيحيين، وقالوا إن هذا الأمر يترك المسلمين عزل بدون حماية من ميليشيا (مناهضو بالاك). كما ظهرت احتجاجات أخرى ضد القوات الفرنسية عقب مقتل ثلاثة من مقاتلي سيليكا في اشتباكات مع الفرنسيين.

ولو حاولنا تحليل أسباب الصراع فإنها ليست دينية تحديداً بل اقتصادية اجتماعية فقد اعتبر المسلمين من الأغنياء فاعلهم من رعاة الماشية كما يعملون بالتجارة ويشرفون على المناجم أما المسيحيين فنشاطهم زراعي مما ولد نوع من المنافسة على هذا الأساس. وكان من الصعب على فرنسا أن تغض الطرف عما يجري في أفريقيا خاصة في مناطق نفوذها التاريخي، فالرغبة في استعادة ذلك الدور دفعها للتدخل، وهي كذلك تنظر إلى الفائدة الاقتصادية التي يمكن أن تجنيها من هذه التدخلات، ومن هنا قامت بنشر ألف وستمئة من جنودها من أجل إنهاء العنف، ونشرت قوات إفريقية لحفظ السلام تابعة للاتحاد الإفريقي وصل عددها إلى أربعة آلاف جندي. من جانبها أبلغت فاليري أموس المسؤولة عن العمليات الإنسانية بالأمم المتحدة، المجلس أن جمهورية أفريقيا الوسطى تواجه مخاطر بأن تصبح دولة فاشلة. وقالت إن كل فرد من سكان البلاد البالغ عددهم ٤.٦ مليون نسمة نصفهم من الأطفال تأثر بالأزمة. وأضافت أن نحو ١.٦ مليون شخص في حاجة ماسة للمساعدة، وأن أكثر من تسعمائة وخمسة وثلاثين ألفاً نزحوا داخل البلاد، بينما فر نحو ٦٠ ألفاً إلى



دول مجاورة. وتشير تقارير ان ١.١ مليون شخص خارج العاصمة بانغي و إلى أنهم يعانون من انعدام الأمن الغذائي الشديد أو المتوسط، وان الوضع الأمني يشهد تدهورا كبيرا وسط اعمال العنف الطائفي ، واصبح الميدان الرئيس في مدينة بوسانغوا الواقعة شمال البلاد بمثابة خط فاصل بين المسلمين والمسيحيين وترك السكان منازلهم ولجأوا الى مخيمات اقيما على الجانبين

وتدخلت القوات الافريقية للفصل بين المتنازعين. وقد حذر الأمين العام للأمم المتحدة من أن افريقيا الوسطى مهددة بالتقسيم إلى مناطق للمسلمين وأخرى للمسيحيين. وقال المسؤول الأممي "كل من المسلمين والمسيحيين قتلوا وتم إجبارهم على هجر مساكنهم. وأضاف أن الوحشية الطائفية تغير ديموغرافية الدولة.

من المؤكد أن مسلمي إفريقيا الوسطى يشعرون بأنهم خُدعوا من طرف الفرنسيين، وأنهم ضحايا، لكن كيف سيواجهون الأمر، وقد يفتح تطور الامور الى الانفصال، بين شمال مسلم وجنوب مسيحي . لعل من الخيارات المفتوحة أن يتدخل الاتحاد الإفريقي لحل أزمة إفريقيا الوسطى وأن يباشر نشر قوات إفريقية لحفظ السلام تحل محل القوات الفرنسية التي يتهمها المسلمون بالانحياز لأحد الأطراف. كما أنه بات الحديث عن إنشاء لجنة تحقيق تنظر في المجازر التي اتخذت منحى تطهيريًا إثنيًا حتى يُقدّم المسؤولين للمحاكمة، فهذا شرط في تحقيق أية مصلحة في هذا البلد. وفي هذا السياق يتطلع الجميع لتعيين حكومة وحدة وطنية لتحقيق مسار أمني وللإشراف على المرحلة الانتقالية. تبنى مجلس الأمن الدولي مشروع قرار قدمته فرنسا يسمح باللجوء إلى القوة، بعد أن تجاوزت الأزمة مداها .